الحلقة 15

أرسله الله تعالى إلى أهل مدين أصحاب الأيكة

شعيب عليه السلام.. رباط العقيدة والمعاملة والسلوك

أرسل شعيب إلى قوم مدين وكانوا يعبدون الأيكة وكانوا ينقصون المكيال والميزان ولا يعطون الناس حقهم فدعاهم إلى عبادة الله وأن يتعاملوا بالعدل ولكنهم أبوا واستكبروا واستمروا في عنادهم وتوعدوه بالرجم والطرد وطالبوه بأن ينزل عليهم كسفا من السماء فجاءت الصيحة وقضت عليهم جميعا.

سيرته

لقد برز في قصة شعيب أن الدين ليس قضية توحيد وألوهية فقط، بل إنه كذلك أسلوب لحياة الناس.. أرسل الله تعالى شعيبا إلى أهل مدين. فقال شعيب (يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُه) نفس الدعوةَ التي يدعوها كل نبيَ.ً لا تختلف من نبي إلى آخر.. لا تتبدل ولا تتردد. هي أساس العقيدة.. وبغير هذه الأساس يستحيل أن ينهض بناء.

دعوة شعيب

بعد تبيين هذا الأساس، بدأ شعيب في توضيح الأمور الاخرى التي جاءت بها دعوته (وَلاَ تَنقُصُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ) بعدً قضية التوحيد مباشرة، ينتقلً النَّبيً إلى قضية المعاملات اليومية، قضية الأمانة والعدالة.

كان أهل مدين ينقصون المكيال والميزان، ولا يعطون الناس حقهم، وهي رذيلة تمس نظافة القلب واليد، كما تمس كمال المروءة والشرف، وكان أهل مدين يعتبرون بخس الناس أشياءهم، نوعا من أنواع المهارة في البيع والشراء، ودهاء في الأخذ والعطاء.. ثم جاء نبيهم وأفهمهم أن هذه دناءة وسرقة، أفهمهم أنه يخاف عليهم بسببها من عذاب يوم محيط.

بالنظر إلى تدخل الإسلام الذي بعث به شعيب في حياة الناس، إلى الحد الذي يرقب فيه عملية البيع والشراء. قال: (وَيَا قَوْمِ أَوْفُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ) لم يزل شعيب ماضيا فَي دعوتَه، ها هَوَ ذا يكرر نصحه لهم بصورة إيجابية بعد صورة النهي السلبية، إنه يوصيهم أن يوفوا المكيال والميزان بالقسط، بالعدل والحق، وهو يحذرهم أن يبخسوا الناس أشيائهم.

لنتدبر معا في التعبير القرآني القائل: (وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ) كلمة الشيء تطلق على الأشياء المادية والمعنوية، أي أنها ليست مقصورة على البيع والشراء فقط، بل تدخل فيها الأعمال، أو التصرفات الشخصية.

ويعني النص تحريم الظلم، سواء كان ظلما في وزن الفاكهة أو الخضراوات، أو ظلما في تقييم مجهود الناس وأعمالهم.

ذلك أن ظلم الناس يشيع في جو الحياة مشاعر من الألم واليأس واللامبالاة، وتكون النتيجة أن ينهزم الناس من الداخل، وتنهار علاقات العمل، وتلحقها القيم، ويشيع الاضطراب في الحياة، ولذلك يستكمل النص تحذيره من الإفساد في الأرض: (وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ) العثو هو تعمد الإفساد وَالقصد إَليه فلاَ تَفسدوا في الأرض متعمدين قاصدين (بَقِيَّةُ اللّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ)، ما عند الله خير لكم،(إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ).

بعدها يَخلي بينهمَ وَبين الله الذي دعاهم إليه، ينحي نفسه ويفهمهم أنه لا يملك لهم شيئا، ليس موكلا عليهم ولا حفيظا عليهم ولا حارسا لهم، إنما هو رسول يبلغهم رسالات ربه: (وَمَا أَنَاْ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ) بهذا الأسلوب يشعر شعيب قومه بَأنَ الأَمر جد، وخطير، وثقيل، إذ بين لهم عاقبة إفسادهم وتركهم أمام العاقبة وحدهم.

رد قوم شعيب

كان هو الذي يتكلم، وكان قومه يستمعون، توقف هو عن الكلام وتحدث قومه: (قَالُواْ يَا شُعَيْبُ أَصَلاَتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاء إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ) كَان أهل مَدين كفارا يَقطعون السَبيل، وَيخيفون المارة، ويعبدون الأيكة، وهي شجرة من الأيك حولها غيضة ملتفة بها، وكانوا من أسوأ الناس معاملة، يبخسون المكيال والميزان ويطففون فيهما، ويأخذون بالزائد ويدفعون بالناقص، انظر بعد هذا كله إلى حوارهم مع شعيب: (قَالُواْ يَا شُعَيْبُ أَصَلاَتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا)؟.

بهذا التهكم الخفيف والسخرية المندهشة، واستهوال الأمر، لقد تجرأت صلاة شعيب وجنت وأمرته أن يأمرهم أن يتركوا ما كان يعبد آباؤهم، ولقد كان آباؤهم يعبدون الأشجار والنباتات، وصلاة شعيب تأمرهم أن يعبدوا الله وحده، أي جرأة من شعيب؟ أو فلنقل أي جرأة من صلاة شعيب؟.

بهذا المنطق الساخر الهازئ وجه قوم شعيب خطابهم إلى نبيهم.. ثم عادوا يتساءلون بدهشة ساخرة: (أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاء) تخيل يا شعيب أن صَلاتك تتَدخل في إرادتنا، وطريقة تصرفنا في أموالنا، ما هي علاقة الإيمان والصلاة بالمعاملات المادية؟

بهذا التساؤل الذي ظنه قوم شعيب قمة في الذكاء، طرحوا أمامه قضية الإيمان، وأنكروا أن تكون لها علاقة بسلوك الناس وتعاملهم واقتصادهم.

هذه المحاولة للتفريق بين الحياة الاقتصادية والإسلام، وقد بعث به كل الأنبياء، وإن اختلفت أسماؤه، هذه المحاولة قديمة من عمر قوم شعيب.

لقد أنكروا أن يتدخل الدين في حياتهم اليومية، وسلوكهم واقتصادهم وطريقة إنفاقهم لأموالهم بحرية، إن حرية إنفاق المال أو إهلاكه أو التصرف فيه شيء لا علاقة له بالدين، هذه حرية الإنسان الشخصية، وهذا ماله الخاص، ما الذي أقحم الدين على هذا وذاك؟. هذا هو فهم قوم شعيب للإسلام الذي جاء به شعيب، وهو لا يختلف كثيرا أو قليلا عن فهم عديد من الأقوام في زماننا الذي نعيش فيه، ما للإسلام وسلوك الإنسان الشخصي وحياتهم الاقتصادية وأسلوب الإنتاج وطرق التوزيع وتصرف الناس في أموالهم كما يشاءون؟ ما للإسلام وحياتنا اليومية؟ ثم يعودون إلى السخرية منه والاستهزاء بدعوته (إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ) أي لو كنت حليمًا رشيدا لما قلت ما تقَول. أدرك شعيب أن قومه يسخرون منه لاستبعادهم تدخل الدين في الحياة اليومية، ولذلك تلطف معهم تلطف صاحب الدعوة الواثق من الحق الذي معه، وتجاوز سخريتهم لا يباليها، ولا يتوقف عندها، ولا يناقشها.. تجاوز السخرية إلى الجد.

أفهمهم أنه على بينة من ربه، إنه نبي يعلم وهو لا يريد أن يخالفهم إلى ما ينهاهم عنه، إنه لا ينهاهم عن شيء ليحقق لنفسه نفعا منه، إنه لا ينصحهم بالأمانة ليخلوا له السوق فيستفيد من التلاعب، إنه لا يفعل شيئا من ذلك، إنما هو نبي، وها هو ذا يلخص لهم كل دعوات الأنبياء هذا التلخيص المعجز: (إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ) إن ما يرَيدهَ هو الإَصلاَح.

هذه هي دعوات الأنبياء في مضمونها الحقيقي وعمقها البعيد.. إنهم مصلحون أساسا، مصلحون للعقول، والقلوب، والحياة العامة، والحياة الخاصة.

بعد أن بين شعيب عليه السلام لقومه أساس دعوته، وما يجب عليهم الالتزام به، ورأى منهم الاستكبار، حاول إيقاض مشاعرهم بتذكيرهم بمصير من قبلهم من الأمم، وكيف دمرهم الله بأمر منه.

فذكرهم قوم نوح، وقوم هود، وقوم صالح، وقوم لوط. وأراهم أن سبيل النجاة هو العودة لله تائبين مستغفرين، فالمولى غفور رحيم.

تحدي القوم

لكن قوم شعيب أعرضوا عنه قائلين: (قَالُواْ يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا) إنه ضَعيف بمقياسهَم. ضعيفَ لأن الفقَراء والمساكيهم فقط اتبعوه، أما علية القوم فاستكبروا وأصروا على طغيانهم، إنه مقياس بشري خاطئ، فالقوة بيد الله، والله مع أنبياءه.

ويستمر الكفرة في تهديهم قائلين: (وَلَوْلاَ رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ) لولا أهلك وقومك ومن يتبعك لحفرنَا لَكَ حفرة وقتلناك ضربا بالحجارة.

نرى أنه عندما أقام شعيب –عليه السلام– الحجة على قومه، غيروا أسلوبهم، فتحولوا من السخرية إلى التهديد. وأظهروا حقيقة كرههم له.

لكن شعيب تلطف معهم، تجاوز عن إساءتهم إليه وسألهم سؤالا كان هدفه إيقاظ عقولهم: (قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ اللّه) يا لسذاجة هؤلاء، إنهم يسيئون تقدير حقَيقة القوى التي تتحكم في الوجود، إن الله هو وحده العزيز، والمفروض أن يدركوا ذلك، المفروض ألا يقيم الإنسان وزنا في الوجود لغير الله، ولا يخشى في الوجود غير الله، ولا يعمل حسابا في الوجود لقوة غير الله، إن الله هو القاهر فوق عباده.

تهديد شعيب علية السلام

ويبدو أن قوم شعيب ضاقوا ذرعا بشعيب، فاجتمع رؤساء قومه، ودخلوا مرحلة جديدة من التهديد، هددوه أولا بالقتل، وها هم أولاء يهددونه بالطرد من قريتهم، خيروه بين التشريد، والعودة إلى ديانتهم وملتهم التي تعبد الأشجار والجمادات، وأفهمهم شعيب أن مسألة عودته في ملتهم مسألة لا يمكن حتى التفكير بها فكيف بهم يسألونه تنفيذها.

لقد نجاه الله من ملتهم، فكيف يعود إليها؟ أنه هو الذي يدعوهم إلى ملة التوحيد، فكيف يدعونه إلى الشرك والكفر؟ ثم أين تكافؤ الفرص؟ أنه يدعوهم برفق ولين وحب، وهم يهددونه بالقوة.

واستمر الصراع بين قوم شعيب ونبيهم، حمل الدعوة ضده الرؤساء والكبراء والحكام، وبدا واضحا أن لا أمل فيهم.. لقد أعرضوا عن الله، أداروا ظهورهم لله، فنفض شعيب يديه منهم، لقد هجروا الله، وكذبوا نبيه، واتهموه بأنه مسحور وكاذب، فليعمل كل واحد، ولينتظروا جميعا أمر الله.

هلاك قوم شعيب

وانتقل الصراع إلى تحد من لون جديد. راحوا يطالبونه بأن يسقط عليهم كسفا من السماء إن كان من الصادقين، راحوا يسألونه عن عذاب الله، أين هو؟ وكيف هو؟ ولماذا تأخر؟ سخروا منه، وانتظر شعيب أمر الله.

أوحى الله إليه أن يخرج المؤمنين ويخرج معهم من القرية.. وخرج شعيب.. وجاء أمره تعالى: وَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ (94) كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا أَلاَ بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ (94) (هود). هي صيحة واحدة، صوت جاءهم من غمامة أظلتهم، ولعلهم فرحوا بما تصوروا أنها تحمله من المطر، ثم فوجئوا أنهم أمام عذاب عظيم ليوم عظيم.

انتهى الأمر، أدركتهم صيحة جبارة جعلت كل واحد فيهم يجثم على وجهه في مكانه الذي كان فيه في داره، صعقت الصيحة كل مخلوق حي، لم يستطع أن يتحرك أو يجري أو يختبئ أو ينقذ نفسه، جثم في مكانه مصروعا بصيحة.

6 نصائح للتسوق بأمان في شهر رمضان

رغم استمرار فرض العديد من الدول إجراءات تقييد التحرك، إلا أن شراء المواد الغذائية «أمر» لا بد منه، لا سيما خلال شهر رمضان، بالنسبة لملايين الناس حول العالم.

وفي حين تضاربت الدراسات بشكل كبير حول مسألة ضرورة تعقيم الحاجيات ومشتريات السوبر ماركت أم لا، أوضحت منظمة الصحة العالمية بعض المعايير التي يجب التقيد بها عند شراء البقالة لإعداد الإفطار.

وشددت في سلسلة تغريدات على حسابها على تويتر على ضرورة تطبيق الممارسات الصحية الجيدة عند الشراء من البقالة في شهر رمضان، مذكرة بأهمية الحفاظ على مسافة متر واحد على الأقل بين المتبضع والآخرين.

كما نصحت المتسوقين بضرورة تطهير مقابض عربات التسوق أو سلال التسوق، بالإضافة إلى تجنب لمس العينين أو الفم أو الأنف أو حتى المتعلقات الشخصية. إلى ذلك، أعادت التذكير بأهمية غسل اليديك جيدًا فور العودة إلى المنزل.

تناول الإفطار

أما عند تناول الإفطار، فأشارت إلى ضرورة غسل اليدين بالصابون مرارًا قبل تناول الطعام وأثناء تناوله وبعده!

ودعت إلى تنظيف وتعقيم الأسطح والمعدات التي سيوضع عليها الطعام بطبيعة الحال. كما أكدت على وجوب غسل الفواكه والخضراوات جيدًا، خاصةً إذا أكلت نيئة.

إلى ذلك، نوهت بضرورة طهو الطعام حتى حرارة 70 درجة مئوية على الأقل، من أجل الحفاظ على سلامة العائلة.

ومع إجماع المؤسسات الدينية على اعتبار عدم التجمع واجبا شرعيا، والالتزام بالتباعد الاجتماعي، ستتغير عدة عادات رمضانية، وستختلف العادات الأسرية، ربما يثير هذا الأمر غصة في الصدور، لكن قد تولد عادات أخرى تحمي النفس والآخرين من الإصابة بذلك الوباء.

الازدحام بالأسواق

يصاحب الشهر الكريم ازدحام في الأسواق لشراء السلع والأطعمة، وقد يخف ذلك التكدس مع التزام الكثيرين بالتباعد الاجتماعي.

وقد يكون فرصة جيدة للتعامل مع الشهر الكريم فيما يخص التسوق باعتباره كأي شهر آخر لا يعني سفرة الطعام فقط، مما قد يساهم في خفض الأسعار بدلا من ارتفاعها الموسمي تلك الفترة.

الأطعمة المفيدة

ربما لا يوجد طعام أو مكمل غذائي يمكن أن يمنع الإصابة بفيروس كورونا حتى اليوم، ولكن بعض الأطعمة قد تساعد في دعم الجهاز المناعي.

فبدلا من إعداد الموائد المعتادة في رمضان والمليئة بالحلوى والدهون، يفضل التوجه إلى الأطعمة الصحية التي تعتمد على الفواكه والخضراوات الغنية بالمغذيات كالسبانخ والبروكلي والبازلاء، بالإضافة إلى الأطعمة الغنية بالبروتين التي تلعب دورا لتقوية جهاز المناعة، وتساعد في حالة الشفاء والتعافي من الأمراض كالمأكولات البحرية واللحوم الخالية من الدهون والدواجن، وفقا لـ«أكاديمية الغذاء وعلم التغذية» الأميركية.

ويمكن استبدال أطباق الحلوى التي يحتاجها الصائم بعدد من التمرات المفيدة والمغذية، فبجانب مذاقها الحلو فإنها تحتوي على عدد كبير من المعادن والفيتامينات الضرورية للجسم، إضافة إلى احتوائها على نسبة عالية من الألياف المفيدة في السيطرة على نسبة السكر في الدم، وسهولة عملية الهضم، وبشكل عام فالتمر يعزز نظام المناعة في الجسم، بحسب تقرير لموقع «هيلث لاين».

فيديو إفطار

التجمعات العائلية والموائد والعزومات عادة اجتماعية أساسية في رمضان، ربما نفتقدها هذا العام، ومع ذلك يمكن أن تحدث لكن بشكل أقل.

أثبتت وسائل التواصل الاجتماعي منذ بدء تفشي «الوباء» فعاليتها في التواصل بين الأقارب والأصدقاء بخاصية مكالمات الفيديو.

وهو ما أكدته شركة مايكروسوفت التي تمتلك تطبيق «سكايب» حيث أوضحت أن التطبيق شهد أكثر من أربعين مليون مستخدم نشط خلال الفترة الحالية.

ووفقا للبيانات، فإن هناك زيادة بنسبة 70 بالمئة منذ بدأت إجراءات التباعد الاجتماعي، في مكالمات الفيديو الجماعية باستخدام «فيسبوك ماسنجر». كما زادت مكالمات الصوت والفيديو على «واتساب» أكثر من الضعف في الأماكن الأكثر تأثرا بالفيروس.

ربما يمكن الاعتماد على تلك التقنية في موائد رمضان، فيجتمع والأصدقاء والعائلات ويتناولون إفطار رمضان أمام شاشات الحاسوب، وهو ما قد يخفف بعض الوحشة.

تقليل الهدر

ربما يكون لتوقف التجمعات العائلية في رمضان أثر سلبي على الكثيرين، لكنه في نفس الوقت يحمل في طياته شيئا أكثر إيجابية، احرصي على توفير الطعام ونفقات الموائد العامرة، ويمكنك التبرع بها لغير القادرين، أو حتى للمساعدة في إعداد المستشفيات وتزويدها بما تحتاجه من أدوات الوقاية والعلاج تلك الفترة.

وبالنظر لما يتم هدره من أموال في صورة طعام والذي يقدر بـ 250 كيلوغراما للفرد سنويا من الغذاء بالشرق الأوسط وشمال أفريقيا –خلال الأعياد الدينية واحتفالات الزفاف والتجمعات العائلية، بحسب منظمة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة (فاو)– يمكن تجنب كل ذلك بالمساعدة في أزمة كورونا الحالية.

موائد الرحمن

لا يعني اختفاء ما تسمى موائد الرحمن هذا العام –في عدد من الدول– أن يختفي تقديم العون للمحتاجين. ومع ارتفاع أسعار إقامة الموائد كل عام، يصبح من الأفضل التكفل بإطعام عدد من الأسر طول فترة الشهر الكريم وتوفير أدوات الوقاية من الفيروس لهم بنفس قيمة الموائد التي يتم إعدادها.

النوم مبكرا

يعد الحجر الصحي فرصة جيدة في رمضان لأخذ كفايتك من النوم، والتخلص من عادة السهر، إذ يساهم ذلك في تقوية المناعة، وربما لا تقي المناعة القوية من الإصابة بالفيروس لكنها تساعد الجسم على المقاومة.

وتنصح الدراسة المنشورة على «مكتبة الطب الوطنية الأميركية» بالنوم مبكرا لتعزيز الجهاز المناعي للجسم وأداء مهامه على أكمل وجه.

وهذا ما يعني ضرورة تغيير تلك العادة الرمضانية، فيكون النوم مبكرا، والاستيقاظ لتناول وجبة السحور وأداء صلاة الفجر، ثم أخذ قسط آخر من النوم لراحة الجسد ومساعدته على القيام بوظائفه الضرورية خلال تلك الفترة العصيبة.

فتاوى

هل يجوز للصائم أن يغسل أسنانه بالماء والمعجون أثناء الصيام؟

يجوز استعمال الماء والمعجون في تنظيف الأسنان في نهار الصيام ما لم يدخل من ذلك شيء إلى الجوف؛ لأن المفسد للصيام هو دخول شيء للجوف من منفذ مفتوح، والأفضل للسائل أن يجعل ذلك في غير ساعات الصيام ليبتعد عن الوساوس والخطرات الشيطانية.